(المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني)، مجلة الخليل العدد ٧

نظّمت جامعة نزوى بالتعاون مع اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم، الندوة الدولية: (المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني)؛ يومي ٩ – ١٠ مايو ٢٠١٨م في قاعة المحاضرات بجامع السلطان قابوس الأكبر بمحافظة مسقط. وقد أتت هذه الندوة في إطار النهج الذي تتبعه جامعة نزوى في العناية بأعلام عُمان، وتقديم علمهم وفكرهم وتاريخهم العريق؛ لتستقطب نخبة من العلماء والأساتذة والباحثين من عُمان والعراق والكويت والمغرب ومصر.

يقول معالي عبدالعزيز بن محمد الرواس، مستشار جلالة السلطان للشؤون الثقافية؛ في معرض افتتاح ندوة المهلب بن أبي صفرة: "نحن نجتمع اليوم هنا لوقف الاعتداء على أسلافنا، وعلى تاريخ رجال عِظام خدموا البلاد والعباد في كل مكان ذهبوا إليه، التاريخ ليس إرثاً لأحد، ولكن الشخصيات تعود إلى أوطانها ولانتمائها، تمنينا أن تكون جلستنا هذه لمد جسور الحوار مع الآخرين ليكونوا جزءاً من هذه الأرض الطيبة، التي تحتوي الكثير، ولكنهم تركوا عُمانيتهم وراحوا إلى شيءٍ آخر، تاهوا في الأرض أربعين عاماً، وعادوا الآن مرة أخرى يريدون أن يكونوا عُمانيين فعلى الرحب والسعة، ولكن سَمِّ الأشياء بمسمياتها وأعطِ الحق لأصحابه، فالاعتداء على الأموات ليس من شيم الكرام".

وقد صدّر مكتب النشر التابع لمكتب نائب الرئيس للدراسات العليا والبحث العلمي والعلاقات الخارجية بالجامعة، الأعمال المحكّمة والسير المقدّمة لندوة المهلب بن أبي صفرة، في عدد خاص من أعداد مجلة الخليل، مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبية واللغوية والقرآنية – مجلة علمية محكّمة نصف سنوية، وهو العدد السابع، يوليو ٢٠١٩م؛ ليشتمل على الكلمات الرسميّة للمنظمين، والبحوث العلمية المحّكمة، والقصائد الشعرية، والبيان الختامي والتوصيات؛ إذ إن هذا العدد يقع في ٢٩٢ صفحة من القطع المتوسط، نُشرت به كلمتان، وقصيدتان، و ١١ بحثا علميا محكّما، وبيان ختاميٌّ.

انطلقت أعمال ندوة المهلب بن أبي صفرة بإلقاء الشاعر يونس بن مرهون البوسعيدي لقصيدة سمّاها: "معلقة الفرزدق الثالثة"، قال في مطلعها:

قد كان يحفظُ لي الصهيلُ ذِماري والآن هل سأُغيرُ يا أشعاري

سِرْجي مداراتُ الكواكبِ، إنّ بي قلقَ البروقِ، وحنكةَ المغوارِ

قدَّرْتُ في سَرْدي الذي أسبَغْتُه وغَمَدْتُ سيفي أنْ يخاف جِواري

تكونت هذه القصيدة من ٣٩ بيتا من بحر الكامل، حتى قال في ختامها:

ورِثَ الطِعانَ عن المهلّبِ والقِر ى وخلائقًا كتدفّقِ الأنهارِ

والأرضُ تُخرِجُ بِذْرها، هو حُجّةٌ أنّ العُلى أعلى عن الأغيارِ

ثم ألقى الشاعر سليمان بن علي العبري قصيدة عنوانها: "لا تنكري الماضي المحفور في دمنا" من بحر البسيط، استهلها راجيا وحدة الكلمة والصف، قائلا:

قولي بأنكِ مني واسمعي الكَلِما لا تجعلي القلبَ يقلو الأهلَ والرُّسُما

لا تزرعي الكُرهَ في تاريخِ أُمّتنا عمانُ أمُّكُمُ، مَنْ يُنكر الرَّحِمَ

وقدّم أ.د فاروق عمر فوزي، باحث عراقي مقيم في الأردن، بحثا بعنوان: "دور المهالبة في المشرق الإسلامي خلال العصر الأموي؛ المهلب بن أبي صفرة نموذجا"، تحدّث فيه عن تاريخ المهالبة في الدولة الأموية، والأحداث السياسية والاجتماعية والدينية المضطربة في العراق وبلاد الشام والأقاليم المجاورة، التي عانت إثرها الدولة الإسلامية كثيراً. ويصف الباحث فترة حكم المهالبة، بقوله: "وأما بالنسبة للمهالبة، وعلى رأسهم

المهلب بن أبي صفرة، فقد أبدعوا، وكانوا بالفعل رجال المهمات الصعبة، ولولا وجودهم لما بقيت الدولة الأموية. وهذه حقيقة يجب ذكرها عند الحديث عن الأدوار المهمة التي قام بها المهلب وأولاده منذ زمن معاوية بن أبي سفيان إلى وقت وفاته في زمن عبد الملك بن مروان، تحديداً في سنة ٨٢ هجرية".

وتفنّد هذه الورقة العديد من الأدوار المهمة التي يشار إليها بالبنان عندما يجري ذكر دولة المهالبة، ففي الجانب العسكري قاد المهلب ومن معه من أزد عُمان، منذ فترة حكم الحجاج بن يوسف الثقفي، العديد من الفتوحات الحاسمة لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية. أما الجانب السياسي فقد عرف عن المهلب عدم تدخله في شؤون الغير، ونبذ الفتن بين الأقاليم والقبائل، والتزامه التام بتنفيذ الإدارة الشرعية للدولة الأموية. وفي الجانب الاجتماعي مارس المهلب مهاما أسهمت في استقرار دولته ومجتمعه؛ لذلك أعجب به الأمراء وأشراف القبائل العربية وعامة الناس. ورغم الصراع والحساسية الشديدة التي جمعت بين المهلب والحجاج؛ لغرور الأخير وطمعه، إلا أن أسرة آل المهلب ظلّ إشعاعها مضيئا في العراق وبلاد ما وراء النهر وإفريقيا وشبه الجزيرة العربية وعُمان؛ حتى بعد وفاة قائدهم.

وترك المهلب بن أبي صفرة ملامح لشخصية تاريخية جادت بها أرض عُمان المباركة؛ وذلك ما كشف عنه أ.د محمد أحمد الديباجي، جامعة شعيب الدكالي المغربية، في ورقته التي قدمها في هذه الندوة الدولية. ومن هذه الصفات التي رسمت ملامح هذه الشخصية: شاب يافع، وقائد همام، تشبّع بالخصال الحميدة، والشيم العربية العريقة، والشجاعة والحزم. يقول الباحث: "وقد تحدث المؤرخون القدماء، ورواة اللغة والأدب، عن المهلب وذكائه ودهائه وشخصيته. ولعل خير ما تتجلى فيه شخصية المهلب وصيتُه لأبنائه عندما نزلت به المنيّةُ، وقد أورد هذه الوصية أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه التعازي والمراثي)".

وقد سبر الدكتور الديباجي في هذا البحث هذه الوصية التي افتتاحها المهلب بحض أبنائه، بما فيهم قومه وأصحابه، على تقوى الله وصلة الرحم؛ لما لذلك من ثمرات طيبة تؤتي أكلها في الدنيا والآخرة، والنهي عن معصية الله وقطيعة الرحم؛ لما يخلفه من عواقب وخيمة على المستوى الفردي والجماعي، فرصد من خلالها أبرز ملامح شخصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني، الذي تناقلت له كتب ومنشورات التاريخ مقولة

مشهورة لكثير الباحثين والمستشرقين ممن ترجموا له (إنه كان أعجوبة من أعاجيب الدهر)، وهذه الصفات هي:

- رجل مؤمن حريص على الائتمار بأمر الله، والانتهاء بنواهيه، والسعي إلى الفوز برضاه في دنياه وأخراه.
- قوي الشخصية، إذا وعد أوفى، وإذا قال فعل.
- حريص على التشبث بأخلاق سيد القوم وقائدهم.
- يمتلك خبرة واسعة في الحروب.
- الاعتناء بقومه وإكرامهم وجمع شملهم.

وكان المهلب قد اختتم وصيته لأبنائه بقوله: "وليكنْ أول ما تبدؤون به إذا أصبحتم تعليم القرآن والسُنن والفرائض".

يشير أ. محمد القديري، باحث في دولة الكويت، في مقدمة بحثه الموسوم: "المهلب بن أبي صفرة مثال للدبلوماسية العمانية العالمية" إلى أن المهلب ورث مجد أبيه في قيادة الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وشرقها حتى حدود الهند؛ إذ ضمّ منطقة خراسان وما جاورها مثل سمرقند وبخارى إلى الدولة الإسلامية.

تمثّلت دبلوماسية المهلب بن أبي صفرة في إحلاله السلام أينما حلّ وارتحل؛ ولنا في موقفه حينما ترك خراسان بسلام منسحباً إلى البصرة؛ وذلك عند اشتداد الفتنة في الدولة الأموية إبّان وفاة الخليفة يزيد بن معاوية. كذلك كان له الدور الأكبر في حماية البصرة من الأزارقة حينما استنجد به أهلها من هجوم قطري بن الفجاءة وفلوله؛ حتى عُرفت تاريخيا باسم (بصرة المهلب).

وتهدف الدراسة التي قدّمها أ.د إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الإسكندرية، وعنوانها: "أضواء جديدة في دور المهالبة السياسي والثقافي في جُرجان"، إلى إبراز ملامح دور

المهالبة السياسي والثقافي في جرجان، وبيان أهميته في التاريخ الإسلامي، وتسليط الضوء على مآثر آل المهلب ومناقبهم المنسية، استنادا على كتابي الأغاني للأصفهاني، وتاريخ جرجان للسهمي الجرجاني.

يقول الباحث في مقدمة مقاله: "الفترة من ٧١٥م إلى ٩٩٦م، تعد التاريخ الذي يمثل دور المهالبة السياسي والثقافي بجرجان". وعندما ارتد أهل جرجان عن الإسلام وهاجموا المسلمين، بعث يزيد بن المهلب ابنه مخلداً ومعه ثلاثين ألفاً لغزو جرجان؛ فقاتلوهم بقيادة يزيد نفسه؛ ففرضوا عليهم حصارا إلى أن كتب الله لهم الفتح. وتذكر الروايات وكتب التاريخ شجاعة المهلب وفرسانه في القتال؛ التي أدخلت الرعب والفزع في نفوس قادة جرجان وأهلها.

وقد مكث يزيد بن المهلب بجرجان، وقام ببنائها وتعميرها بعض الوقت؛ حتى حدثت النكبة التي ابتدأت بخلافات بين الخليفة عمر بن عبدالعزيز وولاته تجاه يزيد بن المهلب وأولاده، فبعد كرٍّ وفرٍّ، قُضي على كثير من رجالات المهالبة في المأساة الدموية بقندابيل على يد الخليفة يزيد بن عبدالملك. ورغم عودة المهالبة إلى الظهور من جديد؛ إلا أنه لم يكن لهم أي دور مؤثر على الصعيد السياسي.

ويذكر أ.د أبو العلا أبرز المنجزات والأعمال الثقافية التي قادت حركة فكرية ومعرفية لآل المهالبة، تمثلت في نشر الإسلام، وتعليم اللغة العربية، وتشييد الجوامع، وبناء المنازل للقبائل، وجمع الناس .. إلخ.

أهم الأعمال الثقافية التي مارسها المهالبة في جرجان:

- الإسهام في العلوم الدينية.
- الصلات العلمية بمراكز الثقافة الإسلامية.
- رعاية الحركة الأدبية.
- رواية التاريخ والأخبار.
- حياة الزهد.
- انتشار تعليم المهالبة للدين في خارج منطقة جرجان.

وقدّم كل من أ.د حيدر عبد الرضا حسن، و أ.د عادل إسماعيل خليل، أستاذي التاريخ في جامعة البصرة، دراسة تناولت دور القائد العماني الأزدي المهلب بن أبي صفرة في الفتوحات العربية الإسلامية، وحربه على الخوارج؛ فاتصف بالدهاء الحربي، وكانت له إنجازات عسكرية؛ نظرا لقدرته الكبيرة في إدارة الحروب، وإمكاناته القتالية الواسعة في التعبئة والتنظيم والكر والفر. وينقل عن المهلب اهتمامه الكبير بجنده ماديا ونفسيا، قدوة لهم لا يخشى العواقب ولا يخاف الموت؛ حتى شهد له أعداؤه بذلك.

كذلك تحدّث الباحث عن أزد عُمان ودورهم في قتال الخوارج، فأسهموا في بناء العديد من الأمصار الإسلامية، ووهبوا دماءهم في سبيل بقائها، فالمهلب بن أبي صفرة لعب دورا رياديا في إلحاق الهزائم بالخوارج؛ فتحقق على يديه النصر التام عليهم بعد أن كتب إليه عبدالله بن الزبير يستنجده للقضاء على الأزارقة المارقة، فقدّم المهلب استراتيجية عسكرية فائقة التنظيم لمباغتة العدو، إذ شكّل جيشا قوامه عشرون ألف رجل أغلبهم من الأزديين، واقترض الأموال من التجار الذين تعرضوا لهجوم من الخوارج، وقام بتعبئة الجيش وتنظيمه استعدادا لخوض معركة طويلة قاسية. وقد استمر المهلب في قتال الأزارقة حتى طردهم من فارس وكرمان وقضى على أكثرهم.

وكان موضوع: "المهلب بن أبي صفرة وإشكالية نسبه في كتابات الشيخ سيف بن حمود البطّاشي" عنوانا لورقة قدمها د. سالم بن سعيد البوسعيدي، تناول فيها الجهد الذي قدّمه الشيخ البطاشي في إشكالية نسب المهلب وموطنه، ووالده أبي صفرة العتكي، وأدلة عمانية المهلب، وأصله من منطقة أدم في داخلية عُمان.

وقد اهتم الشيخ سيف بالمهلب وآل المهلب لقيمة الأثر الذي تركوه في تاريخ الحضارة الإسلامية، وخوفا من ضياع تاريخهم؛ لقلة المصادر التي تناولت سيرتهم، ولتشتت أخبارهم في الجزيرة العربية، وكثرة النجباء في عائلتهم في شتى المجالات والعلوم، أضف لذلك إشكالية نسبهم. ويقول البطاشي في نسب آل المهلب: "والصحيح في نسب أبي صفرة هو ما ذكره ابن الكلبي وغيره، وذكره العوتبي في الأنساب أنه من العتيك". رغم أن هناك رواية تاريخية تقول إن نسبه يرجع إلى منطقة دبا؛ بيد أن البطاشي نفى ذلك، وساق الباحث عددا

من الأدلة القوية لإثبات عمانية آل المهلب، مثل قول الحجاج بن يوسف الثقفي ليزيد بن المهلب: يا مزوني؛ أي يا عماني.

وبحث الدكتور سليمان بن سالم الحسيني، جامعة نزوى، في المراجع الأجنبية العالمية؛ تحديدا الصادرة باللغة الإنجليزية، حضور المهلب بن أبي صفرة وسيرته وأعماله وإنجازاته، هذه الدراسة أبانت عن ورود شخصية عُمانية عالمية في تلك المراجع؛ إذ حضرت بتكوينها الفكري والعلمي والقيادي.

تقصى الحسيني تكوين شخصية المهلب بن أبي صفرة في مختلف المصادر الأجنبية، التي أثبتت عُمانيته، وتأثير أصوله في تكوينه العلمي والفكري، وكانت له نجاحات مهمة سياسيا واجتماعيا في مركز الدولة الإسلامية، وما قدّمه من فتوحات في فارس وجرجان وخراسان؛ فكان شخصية فاعلة ومؤثرة، إلى أن استقر في بصرة العراق، ومدّ أواصر العلاقة مع موطنه عُمان. ومن أبرز المصادر الأجنبية التي عُنيت بالقائد العماني الأزدي المهلب بن أبي صفرة، نذكر:

١) موسوعة الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، الصادر عن دار روتليج اللندنية، عام ٢٠٠٦م.
٢) دراسة ماجستير في قسم الدراسات العربية والحضارية بالجامعة الأمريكية في القاهرة، للباحث جاسون فان ريل.
٣) بحثان نشرا في دورية الثقافة الإسلامية الهندية؛ للباحث الهندي أس أم يوسف: الأول عام ١٩٤٣م، والثاني عام ١٩٤٤م.
٤) كتاب (عائلة إسلامية مبكرة في عُمان: سيرة المهالبة لدى العوتبي)، الصادر من جامعة مانشستر البريطانية، للمؤلف مارتن هيندز، عام ١٩٩١م.

يقول الدكتور ناصر بن علي الندابي في بحثه الموسوم: (الدور الحضاري للمهالبة في بلاد المغرب): "تتابع هؤلاء الولاة على بلاد المغرب واحدا تلو الآخر، دليل على القدرة الإدارية والحس السياسي لديهم". ومن هذا المنطلق تأطرت علاقات تاريخية بين عُمان وبلاد المغرب، هذا العلاقات استثمرها الباحثون للتنقيب في

صفحات التاريخ عن وصول المهالبة إلى المغرب العربي، إذ تشير المصادر أن الوالي أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي أول من عُيّن على المغرب عام ٧٦٨م، اختاره أبو جعفر المنصور ليصلح أمن البلاد.

ثم تتابع آل المهلب في ولاية أقطار بلاد المغرب، فجاء في عام ٧٧١م يزيد بن حاتم بن المهلب الأزدي لولاية مصر مدة ١٦ عاما، ثم روح بن حاتم بن المهلب الأزدي مدة ١٤ عاما، تبعه الوالي نصر بن حبيب الأزدي المهلبي عام ٧٩١م، والوالي الفضل بن روح بن حاتم المهلبي عام ٧٩٣م، الذي انتهت بمقتله فترة المهالبة في بلاد المغرب بعد ولاية امتدت ٢٧ عاما، بدءا من أواخر حكم أبي جعفر المنصور، إلى أوائل حكم هارون الرشيد.

والمتتبع لسيرة حكم المهالبة في بلاد المغرب، سيجد أنهم اتصفوا بالشجاعة والعدل والأخلاق الرفيعة، استبشرت بهم أفريقية لما لهم عليها من فضل وصلاح، إذ لعبوا دورا حضاريا في تلك البلاد، فكان عصرهم زاخرا بالعلماء والأدباء والمصلحين الذي علّموا الناس أمور دينهم وشؤون حياتهم، وأرسوا الأمن والاستقرار والرخاء؛ بفضل حنكتهم وخبرتهم بشؤون الإدارة. كذلك اتصفوا بالجود والكرم، واشتغلوا في الشأن الذي يسيّر البلاد والعباد، مثل: تنظيم المدينة والأسواق والسلع، ومتابعة النشاط الزراعي، وترميم الجوامع والمساجد، وغير ذلك مما ممكّن آل المهلب من الاندماج في المجتمع المغربي بعاداته وتقاليده وتاريخه، حتى حسبهم الناس عائلة مغربية.

وتناول الدكتور محمود بن ناصر الصقري، قسم اللغة العربية بجامعة نزوى، سيرة القائد العماني المهلّب بن أبي صفرة، وتاريخ أسرته، في بحثٍ عنونه: "آل المهلب: أصولهم العمانية وتراثهم الأدبي"، أكّد فيه الباحث حقيقة عمانية المهلب بن أبي صفرة، وفي ذات السياق استحضر إرثه الأدبي في بلاط المهالبة، مثل: الشعر والخطب والمراسلات وما شابه ذلك.

وقد تتبع الدكتور الصقري في بحثه هذا تاريخ المهالبة منذ عهد رسول الله ﷺ، وانتساب الأسرة الحاكمة في عُمان (آل سعيد) للمهلب بن أبي صفرة؛ كونها واسطة عقد آل المهلب؛ مدللا على ما ذكر بمراجع

موثوقة، مثل: كتاب (الأغاني لأبي فرج الأصفهاني)، وكتاب (تاريخ المهلب القائد وآل المهلب للشيخ سيف البطاشي)، وكتاب (تحفة العيان بسيرة أهل عمان للشيخ نور الدين السالمي).

وارتبط بلاط المهالبة بالأدب العربي الأصيل، فكان مرتعا خصبا للشعر والخطب التي قالها المهلب وآله في مجالسهم وحروبهم، كذلك دأبوا على إكرام الشعراء والخطباء والفصحاء، فقربوهم منزلة رفيعة، ومن أشهر شعراء بلاط المهالبة: الكميت بن زيد الأسدي، وكعب بن معدان الأشقري، أسهم شعرهم في إثراء حركة الأدب الشعرية، كذلك الحال في مجال النثر.

وفي ختام أعمال الندوة، قدّم الأستاذ عبدالله بن سعيد الحجري، وزارة التربية والتعليم، ورقة عنوانها: "أدب المهالبة: القيم الأخلاقية، والخصائص الفنية"، جمع مادتها مما تيسّر من بطون كتب الأدب القديمة التي عُنيت بتراث المهالبة. في هذا البحث رصد الباحث أبرز أقوال المهالبة في حالتي السلم والحرب، ولساني الشعر والنثر، فتكوّنت له مجموعة من الأقوال والقصائد والخطب والوصايا؛ لأولئك الذين عاصروا حقبتهم، فعرفوا عنهم الفصاحة والأخلاق والحكمة والهمّة وحسن القيادة، وأبرزهم بالتأكيد الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد دوّن الباحث أبرز الخصائص الفنية في أدب المهالبة، فتحدّث عن صدق العاطفة، وعمق التجربة، واستمرارية العطاء، وسمو الأخلاق، واتباع العقل في العمل لا العاطفة، والتحلّي بالتفاؤل والإيجابية خصوصا عند معالجة المشكلات، فكان تجربتهم الأدبية نابعة من واقع البيئة، وليس من نسج الخيال.

وقد خرج الباحثون في ندوة: (المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني) بنتائج وتوصيات عديدة ومهمة جدا، تتلخص مجملها في ضرورة التوجه نحو تفعيل الاستثمار الثقافي في أعلام عُمان عبر العصور المختلفة، ومنهم آل المهلب الذين أسسوا حقبة مهمة في تاريخ البلد؛ وذلك بإنتاج مواد تعليمية وثقافية –سمعية وبصرية– وأفلام كرتونية؛ لترسيخ القيم الحضارية لتلك الرموز؛ بما يحقق أهداف التنمية المستدامة في الشأن الثقافي والاجتماعي محليّاً وخارجيّاً.

أيها القرّاء الأعزاء لمجلة الخليل، مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبية واللغوية والقرآنية، نشير إلى أن المجلة سوف تُتاح قريبا في موقع مكتب النشر على الشبكة العنكبوتية بصيغة PDF مقابل رسوم مالية معيّنة؛ نظرا للطلب الواسع لها من الباحثين والدارسين والمستشرقين وعلماء اللغة العربية؛ كونها تعد مرجعا لهم في هذا المجال.